**بسم الله الرحمن الرحيم**

**بحث علمي بعنوان:**

**"مصدرية النص القرآني في تأصيل البناء المعرفي التربوي"**

**إعداد**

**الدكتور عدنان خطاطبة**

**أستاذ مشارك- كلية الشريعة**

**جامعة اليرموك- الأردن.**

**مقدم إلى**

**المؤتمر القرآني الدولي السنوي مقدس4**

**مركز بحوث القرآن في جامعة ملايا في ماليزيا**

**14-15-4-2014م**

**1435هـ -2014م**

**المقدمة:**

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين وبعد:

يشهد العالم الإسلامي اليوم بمؤسساته التربوية والتعليمية المختلفة سيرا حثيثا باتجاه تطوير العملية التربوية ومواكبتها للعصر في ظل الثورات المعرفية والتكنولوجية الكبيرة التي يشهدها العالم، وهذا التوجه يتطلب وعيا في عملية التعاطي مع المستجدات التربوية، وإدراكا لمحددات عمليات البحث التربوي من زاويتين اثنتين هما: ضبط عملية التفاعل مع الخبرات التربوية الإنسانية العالمية، وتطوير منهجية البحث الإسلامي التربوي. وفي كلا الأمرين تبقى الحاجة قائمة وضرورية لعملية الاستهداء بالوحي الإلهي(القرآن والسنة) تأصيل واجتهادا وتطبيقا.

ولذلك تدعو الحاجة الباحثين في مجال العلوم التربوية لتفعيل دور النص الشرعي بشكل علمي وقوي من أجل ضمان نهضة علمية متينة في مجال العلوم الإنسانية والتربوية.

ومن هنا يحظى القرآن الكريم بمكانة عليا في عملية البحث التربوي الإسلامي في سبيل إحداث رؤى قرآنية صحيحة ومتكاملة للمواقف التربوية والتعليمية بحيث تبنى على أسس علمية سليمة. ولما كان البحث التربوي الإسلامي واقعيا لا يمكن إنكاره اليوم ولما كان كذلك يعد في مراحله الأولى مقارنة بما تم إنجازه في العلوم الشرعية الأخرى، كان من اللازم علينا تفعيل دور القرآن الكريم بشكل أكبر وأقوي في جميع مراحل البحث النظري والتطبيقي. وإيمانا من الباحث بأن ضمان التطبيق التربوي والتعليمي ومخرجاته يقوم على ضمان المدخلات النظرية والتصورات الفكرية السليمة فإنه رأى أن يخرج بفكرة بحثه هذا ليتجه نحو توضيح دور القرآن الكريم في عملية البحث العلمي المتخصصة بمجال البناء المعرفي التربوي الإسلامي، فكان عنوان فكرة البحث هو: "مصدرية النص القرآني في تأصيل البناء المعرفي التربوي".

**أسئلة الدراسة:** تكونت الدراسة من الأسئلة الآتية:

* ما مفهوم المعرفة التربوية وما أهمية "مصدرية القرآن الكريم" في بنائها؟
* ما محددات منهجية الاستدلال بالمصدرية القرآنية في عملية بناء لمعرفة التربوية؟
* ما واقع الاستدلال بالنص القرآني في أدبيات المعارف التربوية؟
* ما أهم نماذج في تطبيق مصدرية النص القرآني في تشكيل البناء المعرفي التربوي؟

وستجيب هذه الدراسة عن جميع أسئلتها من خلال مطالبها الأربعة حيث سيخصص مطلب واحد للإجابة عن كل سؤال.

**أهداف الدراسة:**تهدف الدراسة إلى تحقيق ما يأتي:

1. بيان أهمية النص القرآني في تأصيل البناء المعرفي التربوي.
2. تحديد منهجية الاستدلال بالنص القرآني في عملية البحث التربوي.
3. الوقوف على واقع التعامل مع النص القرآني في عملية البحث التربوي.
4. تقديم نماذج تشرح عملية توظيف النص القرآني في البحث التربوي.

**أهمية الدراسة:** تأتي أهمية الدراسة من كونها:

1. تقدم للباحثين في المجال التربوي الاتجاه التأصيلي الإسلامي المبني على منهجية استخدام النص القرآني في بحث موضوعات التربية.
2. يتوقع أن تستفيد منها كليات الشريعة والتربية في تدريس المساقات ذات الصلة بالتأصيل الإسلامي للدراسات النفسية والتربوية.
3. يتوقع أن تكون دليلا إرشاديا لطلبة الدراسات العليا المتخصصين في مجال التربية العامة والتربية الإسلامية.
4. تعالج واقع التنظير التربوي في مجال البحث التربوي الإسلامي.
5. تعيد المكانة الصحيحة للقرآن الكريم في تقديمه لدوره النظري والتطبيقي في البحث التربوي.

**خطة البحث:**

المبحث الأول: مفهوم المعرفة التربوية وأهمية "مصدرية القرآن الكريم" في بنائها.

المبحث الثاني: محددات منهجية الاستدلال بالمصدرية القرآنية في عملية بناء لمعرفة التربوية.

المبحث الثالث: واقع الاستدلال بالنص القرآني في أدبيات المعارف التربوية.

المبحث الرابع: نماذج في تطبيق مصدرية النص القرآني في تشكيل البناء المعرفي التربوي.

**والله ولي التوفيق**

**الباحث**

**المبحث الأول: مفهوم المعرفة التربوية وأهمية "مصدرية القرآن الكريم" في بنائها.**

لابد من الوقوف في مقدمة هذه الدراسة على مراد الباحث بالبناء المعرفي التربوي في هذه الدراسة. ويتم ذلك بتوضيح مفهوم المعرفة مضافة إلى التربية وإطارها العام المحدد لوجهتها هنا. ومن ثم الإشارة لأهمية المصدرية القرآنية في بناء المعرفة التربوية بشكل عام.

المعرفة في لغة العرب من "عرف"، العين والراء والفاء، أصلان صحيحان، يدل أحدهما: على تتابع الشيء واتصال بعضه ببعض، وهو العُرْف، كعُرْف الفرس، وسمّي بذلك لتتابع الشعر عليه، والآخر: يدل على السكون والطمأنينة، وهو المَعْرفة والعِرْفان، تقول: عَرفْت فلاناً عِرْفاناً ومَعْرفة([[1]](#footnote-1)). فعرَفه يعرفه معرفة وعرفانا: علمه، فهو عارف([[2]](#footnote-2)). وعَرّفه الأمر: أعلَمه إيّاه، وعَرفه بَيْته: أعلَمه بمكانه([[3]](#footnote-3)). فالمعرفة في اللّغة، تدل على العلم بالشيء، علماً يحقق السكون والطمأنينة لدى العارِف أو العالِم بذلك الشيء. ويلاحظ أن هناك اتصالاً واضحاً بين المعرفة والعلم في الوضع اللّغوي .

وأما المعنى الاصطلاحي، فالمعرفة عند الجرجاني هي: "إدراك الشيء على ما هو عليه"([[4]](#footnote-4)). وعُرّفت بأنها: المعلومات أو الأخبار التي يكتسبها الإنسان عن الموجودات المختلفة، وأنها تقال المعرفة على المعلومة الواحدة وعلى المعلومات العديدة([[5]](#footnote-5)).

 وتأسيساً لأهداف البحث في تطبيقات مصدرية القرآن حول مفهوم المعرفة فإن دلالة المعرفة في الاستعمال القرآني قد أشار إليها الأصفهاني بقوله: "المعرفة والعرفان: إدراك الشيء بتفكّر وتدبّر لأثره"([[6]](#footnote-6)). والمعرفة في القرآن إذا جاءت فعلاً صادراً من الإنسان تعني: إدراكاً لشيء بتفكرٍ وتدبرٍ لأثره ([[7]](#footnote-7)). ومن التعريفات الجامعة للمعرفة في الاستعمال القرآني، ما أورده أحد الباحثين، بعد دراسة قرآنية معمّقة لورود المعرفة ومفهومها في القرآن الكريم، حيث انتهى إلى أنّ "المعرفة في القرآن هي: المعلومات والمفاهيم اليقينية أو الأكيدة والأحكام والمدْركات والتصّورات الجازمة التي نكونها أو نتوصل إليها عن شيء ما نتيجة ما نتلقاه عن طريق الوحي أو عن طريق الحسّ والعقل والحدس أو عن طريقها جميعاً"([[8]](#footnote-8)).

وبناء على هذا التعريف فإن **المعرفة التربوية القرآنية** هي المعلومات والمفاهيم التربوية اليقينية أو الأكيدة والأحكام والمدْركات والتصّورات التربوية الجازمة التي نكونها أو نتوصل إليها عن شيء ما نتيجة ما نتلقاه عن طريق الوحي أو عن طريق الحسّ والعقل والحدس أو عن طريقها جميعاً

ويعرف الباحث **المعرفة التربوية في هذه الدراسة بأنها**: المعلومات والمفاهيم والآراء التربوية والتعليمية المتلقاة عن طريق الوحي أو المعتبرة وفقا لشروطه والمستمدة من مصادره المقررة فيه. وعليه تشمل المعرفة التربوية تلك المعارف التربوية المستمدة من مصدرية نصوص الوحي أو تلك التي جاءت من طريق مصدرية الاجتهاد المنضبط بالمنهجية الإسلامية المقررة في علم أصول الفقه، لقوله تعالى: (لعلمه الذين يستنبطونه منهم)(النساء،83). وهي واقعيا تتمثل في كل ما أنتجه المسلمون في مجال التربية والتعليم(الدراسات والأدب التربوي الإسلامي).

والناظر في تصنيف المصادر الشرعية في علم أصول الفقه يجد أنّ علماء الأصول، قد توصلوا إلى أنّها على قسمين: القسم الأول متفق عليه بين جمهور علماء المسلمين ويشمل: القرآن، والسنة، والإجماع، والقياس، والقسم الثاني مختلف فيه، ويشمل: الاستحسان، والمصلحة المرسلة، والاستصحاب، والعرف، ومذهب الصحابي، وشرع من قبلنا([[9]](#footnote-9)). وموقف الأصوليين هذا وتصنيفهم للمصادر الشرعية، يؤكّد خاصّية الثبات والمرونة معاً التي تتصف بها طبيعة هذا الإسلام حتى في الجانب المتعلق بالمصادر والمنطلقات، وهي خاصّية تنتقل بكل تأكيد إلى كل جوانب الإسلام وإلى ما ينسب إليه من قضايا وأفكار، ومن ذلك التربية الإسلامية، والمعرفة التربوية الإسلامية، من حيث المصدرية والخصائص والأنشطة والأفكار وغير ذلك. فلا بد أن يتنبّه التربويون المسلمون إلى طبيعة المصادر الشرعية وخصائصها لما لذلك من انعكاس واضح في عمليات تأصيلهم واستنباطهم التربوي الإسلامي، وفي عمليات تنظيرهم وتطبيقاتهم التربوية الإسلامية .

ويقف القرآن الكريم في مقدمة المصادر الإسلامية التي يتم من خلالها بناء المعرفة التربوية بكل أنواعها ومجالاتها وامتداداتها، ومن هنا تظهر أهمية المصدرية القرآنية في بناء المعرفة التربوية. كما تتضح الحاجة إلى هذه المصدرية من كون عملية الاهتمام بالبحث التربوي الإسلامي من جهة التنظير والبناء المعرفي العلمي المتخصص تعد حديثة إذا ما قورنت بباقي العلوم الشرعية كعلم أصول الدين وعلم الفقه وأصوله. وتتضح الحاجة كذلك من كون المسيطر على ما يمكن أن يسمى" الشارع التربوي والتعليمي" في العالم هي تلك المنهجيات التربوية ذات المصادر المعرفية المادية الغربية أو التغريبية الحاملة لها، لتي تتخذ من النص القرآني موقفا سلبيا ينزع تارة نزعة علمانية وأخرى حداثية "وضعية" النظرة للنص القرآني، وأخرى إلحادية نافية بالكلية لمقام النص القرآني. ومن هنا إذا ما أردنا أن نقدم بناء معرفيا تربويا سليما يمثل خصوصية الأمة المسلمة ويبني حضارة علمية وتقدما مجتمعيا ايجابيا فلا بد لنا من إعلاء الاهتمام بالقرآن الكريم باعتباره المصدرية الرئيسة والأولى لتربيتنا الإسلامية وتفعيل ذلك في عملية البحث التربوي النظري والميداني. وإذا كانت الحاجة قصوى أصلا لبناء المعرفة التربوية المنطلقة من مصادر الإسلام المعتبرة، فإن الحاجة أعظم لِتَمثّل استمداد تلك المعرفة من القرآن الكريم. ولعل من السبل الواجب سلوكها لتحقيق شيء من ذلك هو بذل مزيد من الجهود من قبل علماء التفسير والتربويين لقراءة نصوص القرآن الكريم قراءة تربوية تحليلية مرتبطة بالواقع المعاصر كما هي منطلقة من ملاحظة عملية تنزل القرآن خلال ثلاثة وعشرين عاما وأبعادها الاجتماعية والتغييرية والتعليمية، وأن يتم ذلك في مناخ علمي متجرد بعيد عن التعصّبات المذهبية والحزبية الضيقة. بذلك يمكن ان نعيد للقرآن الكريم دوره المحوري في بناء نظم التعليم وتوجيهها الوجهة التي تنهض بالأمة على أسس إيمانية وعلمية صحيحة.

**المبحث الثاني: محددات منهجية الاستدلال بالمصدرية القرآنية في عملية بناء لمعرفة التربوية.**

يحاول الباحث في هذا الجزء من الدراسة تقديم عدد من المحددات تساعد في توجيه عملية البحث والاستدلال التربوي في طريق بناء المعارف التربوية من القرآن الكريم، وهي محددات اجتهادية قابلة للإضافة والتعديل وتتمثل بالآتي:

**محدد "المفهوم":** المصدر في لغة العرب له دلالات عدة، منها: صدر الأمر صَدْراً وصُدُراً، بمعنى: وقع وتقرر، وصدر الشيء عن غيره بمعنى نشأ، ويقال: فلان يصدر عن كذا، بمعنى: يستمد منه، والمصدر كذلك ما يصدر عنه الشيء([[10]](#footnote-10)). وعليه فخلاصة المعنى اللغوي للمصدر هنا: منْشأ الشيء ومنْبع استمداده. وأما اصطلاحاً: فقد عرفه بعض الباحثين بقوله: "المصادر: الأصول والمنابع التي يستمد منها المرء سعيه للوصول إلى الحق"([[11]](#footnote-11)). وأما القرآن الكريم فيعرفه العلماء بأنه: "كلام الله المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم، المتعبد بتلاوته"([[12]](#footnote-12))، وقد خُصّ القرآن بالكتاب المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم فصار له كالعَلَم الشخصي([[13]](#footnote-13))، ولا يسمّى به شيء غيره من سائر الكتب، وإضافة الكلام إلى الله تعالى (كما في التعريف) إضافة حقيقية من باب إضافة الكلام إلى قائله([[14]](#footnote-14)).

وبناء على ما تقدم، فإن الباحث يُعرّف "مصدرية القرآن في البناء المعرفي التربوي"، بأنها: "اتخاذ القرآن الكريم المَنْشَأ والمنبع الذي تستمد منه المعرفة التربوية والتعليمية، وتُقرر وتُعتمد وفقا لمنهجيته وشروطه". ووفقاً للتصور الإسلامي، فإن مصدرية نظم الإسلام كلها وتعاليمه، تتمثل بالوحي الإلهي، أصالة وابتداء، ثم قد يدور في فلك هذا المصدر الرئيس ما قد يعد مصادر أخرى، لكنها في النهاية تؤول إليه. وفيما يتعلق بالمعرفة التربوية الإسلامية، فإن مصدرها الرئيسي هو "الوحي"؛ متمثلاً بالقرآن الكريم وبالسنة النبوية الشريفة. ومعنى ذلك: أن المنشأ الأصيل للمعارف التربوية ومنبعها الذي تؤخذ وتستمد منه هو القرآن والسنة. فما قرره القرآن وما بينته السنة النبوية من معارف تربوية جملة أو تفصيلاً فإنها تعد تربية إسلامية، وتحسب على الإسلام وتضاف إليه، ويقال جزماً هذا أو ذاك معرفة تربوية إسلامية؛ لأنه ثبت بالدليل في القرآن أو السنة. فالتخصيص هنا وإن كان يعنى بالقرآن الكريم التزاما بالمنهج البحثي ومقتضيات عنوان الدراسة فإن التطبيق العملي يقتضي مراعاة ما تقدم ذكره.

**محدد "علم أصول الفقه وفقه مصدرية القرآن في البناء المعرفي التربوي":** لقد مايز علماء الأصول بين مصادر التشريع الإسلامي ورتبوها وفق استحقاقاتها التي ثبتت لها شرعاً، فلم يجعلوها في مرتبة واحدة، كما ضبطوا منهجية التعامل معها بشكل عام؛ فوضعوا خطوات محكمة الترتيب، معقولة المعنى في النظر إليها، فقد اتفق جمهور علماء المسلمين على أنّ القسم الأول خاصّة من المصادر الشرعية مرتب في الاستدلال به بالنظر أولاً في القرآن، ثم في السنّة ثم الإجماع ثم القياس، ثم باقي المصادر. ولذلك دلالة تربوية أساسية، فهي تعلّم فقه الأولويات نظرياً، وتعلّم ممارسة فقه الأولويات تطبيقيا سواءً في المجال البحثي أم الدعوي أم التربوي أم غير ذلك . فمثلاً التربوي المسلم لا يجوز له، في ممارساته التربوية النظرية منها أو العملية، القفز عن النظر في نصوص القرآن إلى ممارسة القياس أو غيره دون مبرر شرعي لذلك فيما يتصل بمشروعه البحثي أو موقفه التعلمي تجاه قضية ما .

إنّ هذه المصادر الشرعية، التي بحثها الأصوليون، بكل حيثياتها، تشكل الإطار المرجعي لبناء المعرفة التربوية؛ ذلك أنّ هذه المصادر الشرعية، هي أدلة الإسلام وأركانه وأنظمته وفكره وثقافته وتربيته، وهو أمر إلزامي لا مجال للاختيار فيه، والتربية الإسلامية جزء من الإسلام وأنظمته فمصادرها هي مصادر الإسلام. فالتربويون الإسلاميون، إذا ما أرادوا وضع نظام تربوي وتعليمي إسلامي، أو إيضاح موضوعات التربية الإسلامية وجوانبها المختلفة وعملياتها المتنوعة فيلزمهم اتخاذ تلك الأدلّة الشرعية إطارا مرجعياً لهم ومصدراً أساسياً، ينطلقون منه ويصدرون عنه ويؤطّرون به نظرهم ومواقفهم واجتهاداتهم .

 ولا بدّ للتربويين المسلمين من إحسان النظر إلى مرجعية التربية الإسلامية المتكوّنة من تلك الأدلّة الشرعية، المشار إليها سابقاً، فيفرّقوا فيها بين ما يشكل نصوصاً مرجعية معصومة (النص القرآني والنص النبوي ) وبين ما يقع في الإطار الاجتهادي؛ أي أن هناك ما يسمى "بالنصوص المرجعية" ضمن سياق الأدلّة الشرعية بشكل عام يجب أنْ يحظى بمنهجية تعامل ونظر خاصّة وفي مقدمتها النص القرآني. وفي هذا المجال يقول "رمزي": "النصّوص المرجعية: وهي القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، أمّا النصّوص البشرية التي تبنى عليها، أو تفسرها، وكذلك الاجتهادات والأقوال والمؤلفات، فهي تابعة وينظر فيها بدلالات هذه النصوص المرجعية شريطة أنْ يكون النظر إسلاميا، والجهد الذي يبذل جهداً مستوفياً الشروط التي يشترطها الإسلام في العمل الإسلامي، ولا يملك أيّ نص تفسيري أو اجتهادي أيّة حصانة من النظر فيه والاستدراك عليه مهما كان مصدره ومهما كانت غايته ويرد كل ذلك إلى النصوص المرجعية؛ للمراجعة والتحقيق، فتسهل بذلك عمليات تفعيل التربية الإسلامية في ثوابتها ومتغيراتها ومستجداتها، لتعود الوسيلة الإسلامية مثلما كانت في إحسان تطبيق الإسلام وحمله"([[15]](#footnote-15)).

ومن أشدّ ما تعانيه التربية الإسلامية في مجال بنيتها المعرفية، النقص الواضح في صياغة نظام التربية والتعليم الإسلامي وقوانينه، ولا شك أنَ مرجعية القرآن الكريم تشكل الأرض الخصبة والمرجعيّة الواسعة التي يستفاد منها في صياغة قوانين التربية والتعليم الإسلامية وأنظمته، كما استطاع علماء الفقه والقانون أنْ يصوغوا العديد من القواعد الفقهية والقوانين المدنية الإسلامية في عدد من مجالات الحياة .يقول "رمزي" في بحثه " البعد الاجتهادي في التنظيـر والتأصيـل": إذا اعتبرنا أنّ العمل الإسلامي يشير إلى كلّ عمل أو قول أو نيّة يستند إلى عقيدة الإسلام ويلتزم بمقاصد الشريعة الإسلامية ويستخدم وسائل وإجراءات تقبلها دلالات النصوص الإسلامية لتحقيق غايات إسلامية ابتغاء رضوان الله سبحانه، أقول إذا كان مثل هذا التحديد ينسجم مع الإطار المرجعي لما يسمى "بالفعل الإسلامي" فإن الثوابت الإسلامية وهي مفردات العقيدة وأركان الإسلام، والنص القرآني، والسنة النبوية الصحيحة هي محددات الفعل الإسلامي وهي في الوقت نفسه ضوابطه ومعاييره. وفي ضوء هذين المنطلقين يبرز محور البحث الأساسي على شكل مشكلة يمكن عرضها في التساؤلين التاليين: هل يمكننا من هذين المنطلقين أنْ نحاكم أشكال الطرح النظري والأداء العملي الذي طرحه التربويون والمجتهدون في الماضي، والذي يطرحونه في الحاضر والذي سوف يطرح في المستقبل؟ وهل نستطيع على أساس من هذا التحديد أن نغربل أو نفرز ما هو إسلامي ممّا هو ليس بإسلامي أو ما يقبله الإسلام مما لا يقبله من مفاهيم التربويين المسلمين وتفكيرهم وطروحاتهم وممارساتهم؟"([[16]](#footnote-16)).

إنّ الالتزام بمصدرية القرآن الكريم في بناء المعارف التربوية والتعليمية تمنح التربية الإسلامية خاصية الاستقلال والتفرد بين سائر أنواع المناهج والفلسفات التي عرفتها البشرية، وهو الكفيل في توحيد الغايات والأهداف التربوية والتعليمية في مجملها.

**محدد المعيارية:** إن المعرفة التربوية لا تكون إسلاميةً إلا إذا خضعت جميع العمليات العقلية والبحثية خلال مراحل إنتاجها للضوابط الشرعية والأسس البحثية العلمية التي يقرّها القرآن، فلا يمكن- على سبيل المثال- أن نعدّ تلك المعارف التربوية التي يستبعد أصحابها السنة النبوية من مصادر تفكيرهم معرفة تربوية إسلامية، ولا كذلك الذين يرفضون قبول تفاسير العلماء السابقين المعتبرين بحجة أنها من الماضي ونحن في عصر التقدم وغير ذلك من حجج الحداثيين الذين يسعون لإخضاع النص القرآني لسنن التغير المادي واستبعاد فهم السلف لتلك النصوص؛ لأن الزمن قد تجازوها، فهذا كله مما يتعارض مع شروط المصدرية القرآنية.

ويمكن للباحث وضع جملة من الشروط المعيارية القرآنية لاعتبار المعرفة التربوية وقبولها إسلاميا تتمثل بالآتي:

* **العقلية المسلمة السليمة من الأهواء.**
* **التزام مصادر التشريع ومراتبها المقررة في علم أصول الفقه.**
* **والتزام الطرق البحثية والعمليات الاستدلالية العلمية.**
* **ومراعاة مبادئ وقيم الإسلام ومقاصده.**

والوعي الفكري والتربوي اللازم في قضية مصدرية القرآن، يوجب النظرة إليه على أنه ليس "مجرد مصدر من المصادر، بل هو المصدر المقياس لكل تفكير يُراد وصفه بأنه إسلامي، مثلما أنه المصدر والمقياس لكل تشريع واستنباط فقهي، وذلك بالإضافة إلى كونه المنبع الأصلي لكل وجهة نظر إسلامية. وكونه المقياس يختلف عن كونه المثال أو النموذج ؛ فالمثال يمكن أن يحتذى والنموذج يمكن أن يقلد، وذلك مستحيل بالنسْبة للقرآن. ثم إن كونه المقياس يشير إلى أنه العمود الفقري للتفكير من وجهة النظر الإسلامية سواء في فلسفة أي موضوع أو أي مجال دراسي"([[17]](#footnote-17))، ومنه المجال التربوي.

**محدد الخطوات المنهجية:** يرى الباحث أن هناك ثلاث خطوات منهجية لا بد من السير بها عندما يراد أخذ المعرفة التربوية من النص القرآني والوصول عمليا للبناء المعرفي التربوي الإسلامي.

**الخطوة الأولى:** إحضار النص القرآني التربوي.

**الخطوة الثانية:** الشرح العلمي لهذا النص القرآني من أمهات كتب التفاسير المعتد بها.

**الخطوة الثالثة:** القيام بعملية الاستنباط بطريقة علمية لأخذ المعرفة التربوية من هذا النص القرآني الذي تقدم تفسيره.

وتطبيق هذه الخطوات قد يتعلق بنص قرآني منفرد أو بموضوع قرآني يجمعه عدد من النصوص القرآنية.

**محدد كمالية المصدرية القرآنية:** إن كمال هذا الدين المنصوص عليه في القرآن الكريم، كما قال تعالى: (**اليوم أكملت لكم دينكم**) (المائدة،3)، تَمثّل بكمال ما جاء في مصدرية القرآن الكريم- وبلا شك السنة معه كذلك فهي من مقرراته- من بيان وهدى شامل لكل جوانب الحياة، ومكونات النفس البشرية، وهو ما يؤكد غنى هذه المصدرية بمعطيات تربوية كافية لضمان عملية تربوية ناجحة، وهذه قناعة ضرورة لا بُدّ من توفرها في عقلية ونفسية الباحثين المسلمين؛ لأنها المفتاح للدخول إلى مجال المعرفة التربوية الإسلامية، والمنشّط لبذل المجهود لصناعتها.

ويشتمل القرآن الكريم- وكذلك معه السنة النبوية- على مبادئ كلية وتفصيلات محددة فيما يتعلق بميدان التربية والتعليم. لكن يمكن القول بأن المبادئ والمفاهيم التربوية الكلية في القرآن أكثر مقارنة بالتفصيلات، وأن التفصيلات والتطبيقات التربوية في السنة أكثر مقارنة بالمبادئ العامة. وأنه بمراعاة ذلك يمكن أن يُستمد من نبع القرآن ونبع السنة معرفة تربوية أصيلة على صعيد أسس التربية والتعليم أو وسائلها وأساليبها أو قضاياها ومشكلاتها اليومية.

ولو أخذنا مثالاً واحداً على ذلك، وهو ما جاءت به مصدرية القرآن الكريم مما يتعلق بمجال "العِلْم" وحده، لوجدناه يشكل مخزناً معرفياً صادقاً ومختبراً تجريبياً واقعياً، يمكنه أن يرفد حقل التربية الإسلامية بوفرة تربوية كافية، شريطة أن يُحسن التعامل معها، وعلى هذا المجال يقاس غيره من المجالات والموضوعات والقضايا التي تخصّ التربية والتعليم وليس هنا محلّ تفصيلها؛ لأن الهدف هو التنظير للقرآن باعتباره مصدراً للمعرفة التربوية الإسلامية.

 وعلى علماء التربية المسلمين ومؤسسات التعليم في العالم الإسلامي أن يُفَعّلوا تطبيقات المصدرية القرآنية بشروطها ومعاييرها في عمليات البحث التربوي وفي مختلف مكونات العملية التعليمة؛ لأن هذا هو ما يضمن لهم منهجاً تربوياً صحيحاً ومعارف تربوية سليمة، ويبعدهم عن الانحراف، ويمنع وقوع التناقض فيما بين مكونات المؤسسات التعليمة وعناصرها، ويضمن لهم سيراً واتفاقاً حميداً، ويحفظهم من الوقوع في أخطاء المذاهب والاتجاهات التربوية الأخرى التي تأثرت سلباً بالمصادر الوضعية في عملية بناء المعارف والنظم التربوية، حيث تبنّت معارف تربوية غريبة عن المجتمع المسلم، تم استيرادها من الغرب أو الشرق فأثرت سلباً عليها، وعلى أتباعها وعلى عامة المسلمين المحيطين بها، وهو ما يتعارض بشكل كامل مع مصدرية القرآن العلمية وأبعادها الحضارية.

**المبحث الثالث: واقع الاستدلال بالنص القرآني في أدبيات المعارف التربوية.**

مراعاة لطبيعة هذه الدراسة ومحدوديتها فإن الباحث سيكتفي بعرض واقع الاستدلال بالمصدرية القرآنية في أحد أهم مجال من مجالات أدبيات التربية الإسلامية ومعارفها وهو مجال أصول التربية الإسلامية، حيث سيتم اختيار عدد من تلك الكتب في هذا المجال ثم بيان واقع النص القرآني في تلك الكتب وتحديدا حينما عرضت لموضوع أصول أو أسس التربية الإسلامية.

ويرى الباحث أن ملاحظة واقع النص القرآني الذي يبين مدى فاعلية المصدرية القرآنية يتحدد بثلاثة مستويات هي:

* **مستوى وجود النص القرآني**
* **مستوى وجود تفاسير معتمدة**
* **مستوى الاستنباط التربوي المنضبط**

وستكون عينة الكتب محدودة جدا؛ لأن طبيعة الدراسة لا تسمح بالتوسع؛ ولأن الهدف يتحقق من ذلك وهو تقديم دلالة واقعية على التعاطي مع المصدرية القرآنية في أحد اهم مجالات وحقول المعرفة التربوية الإسلامية. وفيما يأتي عرض لهذه الكتب:

الكتاب الأول: أصول التربية الإسلامية لعبدالرحمن النحلاوي (1979): يلاحظ على الكتاب أنه قدم النظرة الإسلامية لأصول التربية الإسلامية التي حددها بثلاثة: الفكري والتعبدي والتشريعي، وذلك من خلال اعتماده على عدد لا بأس به من النصوص الشرعية، حيث استشهد المؤلف لكل الأسس التي عرض لها ولمفرداتها الأساسية بالآيات الكريمة وهي الأغلب، وهذا يؤكد الانطلاقة الشرعية في دراسة لأصول التربية الإسلامية الثلاثة. ولكن ما ينبغي ملاحظته أن النصوص القرآنية الكثيرة التي تم الاستشهاد بها لم يرجع في تفسيرها وتحديد المعنى العلمي الأصيل فيها إلى كتب التفسير المعتمدة نهائيا، ليكون ذلك داعماً أساسياً لوجوه الدلالة في هذه الآيات على تلك الأسس ومفرداتها ومفاهيمها ولتكون الدراسة بذلك أكثر أصالة وعلمية وتأصيلاً شرعياً. الكتاب الثاني: أصول التربية العامة والإسلامية لصالح باقارشي وعبدالله السبحي(1990): لم يستشهد في كل عرضه لمضمون أصول التربية الإسلامية الأربعة (الفكرية والتعبدية والتشريعية والنفسية) وشرحه لها إلا بثلاث آيات كريمة. الكتاب الثالث: أصول التربية الإسلامية لسعيد القاضي(2002م): جاء محتوى النصوص المتعلقة بأصول التربية الإسلامية التي ذكرها المؤلف في كتابه منطلقاً من الزاوية الشرعية من النظرة الإسلامية العامة للعقيدة وللإنسان والكون والحياة وللعبادة وللشريعة وللأخلاق حيث استشهد المؤلف بعدد من النصوص الشرعية، ولكن بقي الاستشهاد في أغلبه في إطاره العام ودون الوقوف على وجوه الدلالات في تلك النصوص بصورة علمية دقيقة، حيث لم يتم إيراد كلام المفسرين ليكون مؤكداً وموثقاً لصحة الاستشهاد على الفكرة والمضمون خاصة فيما قد يتصل بالجانب التربوي المستنبط من تلك الأسس ومفاهيمها ولذلك لا نجد في قائمة المراجع مرجعاً واحداً في التفسير. الكتاب الرابع: أصول التربية الإسلامية وأساليبها لناصر أبو زريق(2002م): جاء مضمون أسس التربية الإسلامية الأربعة التي ذكرها المؤلف (الفكرية والتعبدية والتشريعية والنفسية) فيما يتصل بالجانب الشرعي فيها، يمثل انطلاقة من المصادر الإسلامية ومحاولة لتقديم النظرة الإسلامية لمكونات ومفردات هذه الأسس حيث استشهد المؤلف بعدد من النصوص الشرعية عند كل مفردة أوردها تحت كل أساس من الأسس وقد كانت الآيات هي الأكثر استشهاداً، أما أمهات كتب التفسير فلم يكن لها حظ من الاعتماد عليها في شرح معاني ودلالات النصوص باستثناء ورود تفسير ابن كثير لمرة واحدة.

والملاحظ أن الغالب ضعف المستويات الثلاثة في التعامل مع المصدرية القرآنية: مستوى وجود النص القرآني، ومستوى وجود تفاسير معتمدة، ومستوى الاستنباط التربوي المنضبط. مع ملاحظة أن حظ المستوى الأول وهو وفرة النصوص القرآنية كان هو الأكثر مقارنة بالمستويين الآخرين. وليس المراد هنا عمل تحليل محتوى لهذه الكتب وإنما تقديم ما يؤكد الحاجة الماسة إلى مزيد من التأصيل الشرعي المبني على المصدرية القرآنية لمحتوى معارف التربية الإسلامية وتطبيق كافة الخطوات البحثية وإظهار جميع مستويات التعاطي مع النص القرآني كما تقدم ذكرها.

**المبحث الرابع: نماذج في تطبيق مصدرية النص القرآني في تشكيل البناء المعرفي التربوي**

يسعى الباحث في هذا الجزء من الدراسة لتقديم ما يعد نموذجا لتطبيق المصدرية القرآنية في بناء المعرفة التربوية وفقا لمحددات وخطوات بحثية منطلقه من الشروط المنهجية القرآنية. وسيتم اختيار بعض المفاهيم ذات الصلة المباشرة بالعملية التربوية وبالمفاهيم الأساسية في حقل المعارف التربوية الكلية، ومن ذلك:

**معطيات المصدرية القرآنية في البناء المعرفي لمفهوم النفس:**

وردت كلمة "نفس" في القرآن الكريم بمشتقاتها عشرات المرّات([[18]](#footnote-18))؛ حيث وردت بلفظ "نَفْس": (61) مرّة، وبلفظ "نَفْساً": (14) مرّة، وبلفظ "نَفْسه": (10) مرّات، وبلفظ "نَفْسِه": (40) مرّة، وبلفظ "نَفْسها": (2) مرّة، وبلفظ "نفسِي": (13) مرّة، وبلفظي "النفوس" و "نفوسكم": مرّة واحدة، وبلفظ "الأنْفُس": (6) مرّات، وبلفظ "أنْفُسكم": (49) مرّة، وبلفظ "أنْفُسنا": (3) مرّات، وبلفظ "أنفسهم": (91) مرّة، وبلفظ "أنفسهنّ": (4) مرّات، أي أن مجموع ما وردت به كلمة "نفس" بمشتقاتها في القرآن الكريم هو: (295) مرّة. ومما لا شك أن هذا التكرار الكبير والواضح لكلمة "النفس" في القرآن الكريم الذي هو وحي إلهي، ومنهج حياة متكامل للبشرية، له دلالته، منها: تقدير القرآن الكريم للنفس، والجانب النفسي من سلوك الإنسان، والمجالات التي تظهر فيها الحياة النفسية([[19]](#footnote-19))، وضرورة وضوح معنى النفس من المنظور الإسلامي؛ لأنها كلمة وردت في القرآن، وتعدد ورودها، ولا يمكن بحال خفاء معنى ألفاظ القرآن، أو غموض دلالة مصطلحات جاءت في القرآن الكريم، الذي خاطب العقل بلسان عربي مبين، وكلّف الإنسان بالعمل بما فيه وتطبيقه.

لذلك، فإن شأن كلمة "النفس" في القرآن شأن كثير من المفاهيم القرآنية، كمفهوم الحياة، والموت، والغيب، وآدم، والشريعة، والإيمان، لها دلالتها الشرعية التي لا بُدّ أن تكون بَيّنة لا ضلال فيها، فلا يُلْتفت إلى تلك الآراء التي تصف مفهوم النفس بأنه معقد وغامض وصعب المنال. فهذه دلالة مهمة لتكرار ورود كلمة النفس في القرآن؛ لأنه بذلك يمثل مصدراً أساسياً لمفهومها إسلامياً.

وبتتبع الآيات القرآنية الواردة في "النفس"، فإنه يمكن التوصل إلى نتيجة مفادها: أن مفهوم كلمة "النفس" في القرآن الكريم جاءت ضمن دِلالتيْن محوريّتيْن، هما:

الأولى: الدلالة الكليّة لكلمة النفس، وهي الغالبة في نصوص القرآن الكريم كما تتبعها الباحث في عشرات الآيات الكريمة، وذلك كما في الآية الكريمة: (أَتَأْمُرون الناس بالبّر وتنسون أنفسكم)(البقرة، 44)، قال ابن عاشور: "أي: أيأمر الواحد غيره وينسى نفسه. والأنفس جمعُ نفس، بسكون الفاء، وهي مجموع ذات الإنسان من الهيكل والروح، وباعتبار هذا التركيب الذي في الذّات اتسّع إطلاق النفس في كلام العرب، تارةً على جميع الذات، كما في التوكيد، نحو: جاء فلان نفسه، وتارة على البعض، كقول القائل: أنكرت نفسي"([[20]](#footnote-20)). وكما في الآية الكريمة: (وإذْ قتلتم نَفْساً فادّارأتم فيها)(البقرة، 72)، والآية الكريمة: (وما تقدّموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله)(البقرة، 109)، والآية الكريمة: (وكتبنا فيها أنّ النفس بالنفس والعين بالعين)(المائدة، 45)، والآية الكريمة: (ليجزي الله كل نفس بما كسبت)(إبراهيم، 51)، والآية الكريمة: (وما تدري نفس ماذا تكسب غداً)(لقمان، 34)، والآية الكريمة: (يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا)(التحريم، 6). وقال ابن عاشور أيضاً عند تفسيره للآية الكريمة: (يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها وتوفي كل نفس ما عملت)(النحل،111): "والمجادلة: دفاع بالقوّة للتخلّص من تبعة فعل، والنفس الأول: بمعنى الذات والشخص، والنفس الثانية: ما به الشخص شخص، فالاختلاف بينهما بالاعتبار، ذلك أن العرب يستشعرون للإنسان جملة مركبة من جسد وروح، فيسمّنها النفس، أي: الذّات، وهي ما يعبر عنه المتكلم بضمير "أنا"، ويستشعرون للإنسان قوة باطنية بها إدراكه، ويسمونها نفساً أيضاً. والمعنى: يأتي كل أحد يدافع عن ذاته، أي: يدافع بأقواله ليدفع أعماله"([[21]](#footnote-21)). وعليه، فإنّ الآيات المتقدّمة وتفسير بعضها، يدلّ دلالة واضحة على أنّ مراد القرآن الكريم بكلمة "النفس" فيها هو: الإنسان ككل، وهو الدلالة الأصلية لمفهوم النفس.

الثانية: الدلالة الجزئية لكلمة النفس، حيث يُشير عدد من النصوص إلى دلالة كلمة النفس على بعض مكوناتها، وبخاصة المخفية كالروح، أو الباطنة كالضمير أو الصدر أو الرُّوع، كما في الآية الكريمة: (ولو ترى إذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطوا أيديهم أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون)(الأنعام، 93). قال البغوي: (أخرجوا أنفسكم)، أي: أرواحكم([[22]](#footnote-22)). وقال ابن عاشور في قوله تعالى: "أخرجوا أنفسكم": الأنفس: الأرواح، أي: أخرجوا أرواحكم من أجسادكم"([[23]](#footnote-23)). ففي هذه الآية دلت كلمة النفس على الروح، وهي بعض النفس بمعناها الكلي المتقدم. وكذلك الآية الكريمة: (ولا تعجبك أموالهم وأولادهم إنما يريد الله أن يعذبهم بها في الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون) (التوبة، 85). قال البغوي: "والمعنى: أن الله يريد أن تخرج أرواحهم حال كفرهم)([[24]](#footnote-24)). والآية الكريمة: (واعلموا أن الله يعلم ما في أنفسكم فاحذروه)(البقرة، 235)، والآية الكريمة: (وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله)(البقرة، 284)، وغيرها من الآيات التي تشير إلى دلالة النفس على باطن الإنسان أو ضميره أو صدّره.

فالنتيجة التي يُتوصل إليها من خلال النصوص الشرعية، أنّ مفهوم النفس من المنظور الإسلامي ووفقاً لمرجعياته الأصيلة واضحُ غاية الوضوح في دلالته الأصيلة على "مجموع الإنسان" و"ذاته كلّها" بعموم مكوناتها المادية والمعنوية، وأنها قد تدّل أحياناً على بعض مكونات النفس المعنوية كالروح أو جانبها الباطني. وهذا يؤكد أن معنى النفس في المنظور الإسلامي بعيد كلّ البعد عن التعقيدات والصعوبات والإشكالات التي لحقت بهذا المفهوم من مصادر المعرفة الإنسانية التي لم تعتمد الوحي الإلهي مرجعيةً أساسية في الوقوف على معناه ودلالته، رغم تكرره فيه مئات المرّات. والباحث إذ يقرّر التعامل مع مفهوم النفس بحسب "دلالته الكلية" المثبتة والواضحة في نصوص الشرع، فإنه يدعو جميع الباحثين في مجال التربية ومجال علم النفس إلى ضرورة تحرير كثير من المفاهيم المستخدمة في ميادين هذين المجالين من منطلق المرجعية الإسلامية المتمثلة بالقرآن الكريم والسنة النبوية. وهذا من الناحية التربوية، فيه اتباع للمنهج الرباني، وتربية على تعظيم ما جاء به، وتقديمٌ لمعارفه الصادقة والسليمة على غيرها.

**معطيات المصدرية القرآنية في البناء المعرفي لمفهوم الإنسان**

 لا بد " لأيّ نظريّة أو فلسفة تربوية من تحديد موقفها من "الإنسان" بصفة أساسية. ومبرر ذلك سهل وميسور، ذلك أن الإنسان هو محور العمل التربوي، وركيزته الأصلية، فنحن عندما نربي إنما نربّي "إنساناً"، وعندما نعلّم إنما نعلم "إنسانا"، وعندما نقيم المؤسسات التربية والمعاهد التعليمية، فمن أجل "الإنسان" معلماً ومتعلماً وعاملاً"([[25]](#footnote-25))، وبالنسْبة لنظرية التربية الإسلامية، فإن "الإنسْان" يكون ركيزة أساسية فيها، وتشكل هذه الركيزة نقطة اختلاف رئيسة بين الإسلام وغيره من النظم والأيدلوجيات المختلفة([[26]](#footnote-26)). ويعمل القرآن الكريم- باعتباره المصدر المعرفي الشرعي الأول- على إعطاء معارف مهمة ورؤى صادقة في مفهوم الإنسان. وتوضيح جانب من ذلك فيما يأتي:

تُعد الَحلََقة الأُولى والَمْركزّية في التوصل إلى مَفْهومٍ صحيح وبنّاء للإِنسان، هي
حلقة "خَلْق الإنسان"؛ لإنه بها تعرف طبيعة الإنسان ومحدداته، وبها يُعصم عقل الإنسان من الزلل والخبط والتيْه في بحثه عن مكنونات هذا الإنسان. وحَلْقَةُ خَلْق الإِنْسان، في القرآن الكريم، تنبثق من الإيمان بالله تعالى، وترتبط ارتباطا مباشراً بأسْمائه وصفاته وأَفْعاله، وفي مقدمتها: الخالق، والبارئ، والمصور، والقادر، والعليم، والخبير، والحكيم. ولا بد من إفراد الله عز وجل بالخلق. ومنه إفراده سبحانه بخلق الإنسان خلقاً أَوَّليّاً وتالياً.

فالإنسان، مخلوق، ومخلوق لله تعالى، وهاتان جملتان محوريتان في مفهوم الإنسان؛ فالجملة الأولى هي الحدّ الحائل دون تأْليه الإِنْسان، وخلع أوصاف الربوبية الفرعونية عليه، والجملة الثانية هي الحدّ المانع من نسْبة هذا الإنسان إلى الطبيعة وأوثانها أو إلى الغيب المجهول والآلهة المخفية. من هنا جاء الاهتمام القرآني بهذه الحقيقة- كون الإنسان مخلوقا، ومخلوقا لله، في عشرات السور والآيات، بل تصدرت ابتداء نزول الوحي، وابتداء الرسالة المحمدية، كما في قوله تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ \* خَلَقَ الإنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴾[العلق:1-2]، وقال تعالى: ﴿ الرَّحْمَنُ \* عَلَّمَ الْقُرْآنَ \*خَلَقَ الإنْسَانَ﴾[الرحمن:1-3]. والإنسان، خُلق إنْساناً منذ خلقه الأول؛ كما في خلق آدم عليه السلام، وخَلْقُه إنساناً جاء على مراحل سواء الإنسان الأول(آدم)، أم الإنسان التالي(سائر البشر)، بما ينفي نفياً قاطعاً أي تخرّصات تحاول أن تجعل الصورة أو الحالة غير الإنسانية سابقة على ما عليه صورة الإنسان الواقعة والمشاهدة والمحسوسة والمعلومة. فمعطيات القرآن الكريم تؤكد أن الله خلق آدم (الإنسان الأول)، خلقه إنساناً كاملاً، ومنه تناسلت بقية الإنس، فالله تعالى قال: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَراً ﴾[الحجر:28]، ولم يقل قرداً أو غير ذلك.

ومراحل خلق الإنسان(الأول) والإنسان (التالي)، تكشف عن معلومات مهمة في فهم حقيقة الإنسان، ضلّت حولها العقول البشرية والفلسفات الإنسانية إلى يومنا هذا، إذ تبين أن هناك مكونين أساسيين للإنسان تُحدِّدان طبيعته- التي تشكل عماد الاجتهادات التربوية حول تربية الإنسان- وهذان المكوّنان هما: الأول: البَدن أو الجسم، والثاني: الروح. سواء سبق حالة البدن التراب مباشرة كما في خلق آدم (الإنسان الأول)، أم الماء المهين مباشرة والتراب غير مباشرة كما في خلق ذرية آدم (الإنسان التالي). قال تعالى:﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَراً مِنْ طِينٍ \* فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴾[ص:71-72]، وقال تعالى: ﴿ أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ ﴾[المرسلات:20]. ولم يأت مفهوم الإنسان، وفقاً لمراحل خلقه ومكوناته الأصلية، مفهوماً آليا ميكانكيا، يساوي الجسد زائداً الروح، بل هو مجموع هذين المكونين وتفاعلاتها وعلاقاتها معاً، ليخرج لنا الإنسان المخلوق لله تعالى العاقل المكرم المبتلى المستخلف الكادّ والمكابد والحارث والهمّام، كما شهدت بذلك عشرات المواضع في القرآن الكريم، وكما قال تعالى، بعد الحديث عن مراحل خلق الإنسان ومكوناته في سورة المؤمنون:﴿ ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾[المؤمنون:14]، وكما قال النبي صلى الله عليه وسلم:(إن الله تبارك وتعالى خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض، فجاء بنو آدم على قدر الأرض، فجاء منهم الأحمر والأبيض والأسود، وبين ذلك، والسّهْل والحَزَن، والخبيث والطيب) ([[27]](#footnote-27)).

ورغم الفروق الفرْدية البيّنة بين الإنسان والإنسان، إلا أن مكونات ذاته، توصف بأنها" وحدة كلية لا تتجزأ، حصيلتها القوى التي زود الله بها طبيعة الإنسان، سواء تلك المادية التي تربطه بالأرض، أو تلك القوى الروحية التي تربطه بخالق هذا الكون، وتلك القوى العقلية التي تمكنه من أن يختار البدائل"([[28]](#footnote-28)). وهذا التفاعل بين مكونات الذات الإنسانية أو قواها يكون وفقا لنظرة التربية الإسلامية تفاعلاً متزناً ومتكاملاً([[29]](#footnote-29)).ويترتب على "النظرة المتوازنة لمكونات الإنسان، الاهتمام بها في التربية والتعليم، والاهتمام بالجانب الفكري، والوجداني والجسمي على السواء، وتنظيم البرامج التعليمية بحيث تتكامل فيما بيْنها، وبحيث تؤدي في ذات الوقت-إلى إنسان متوازن، لا يطغى فيه جانب على الجوانب الأخرى، ولا يهمل جانب لحساب جانب آخر"([[30]](#footnote-30)). وهذه هي أصول التربية القرآنية المعتدلة.

ومفهوم الإِنسان، وفقاً للحقائق القرآنية، تنفي عنه نظرة الفكر الغربي إليه على أنه مفْردة من مفردات "الطبيعة"، حيث تمّ تفريغه من المضامين القِيمية والصّلات الروحية، وتعاملت عديد من النظريات الغربية، التربوية منها والنفسية، مع طبيعة الإنسانية، كطبيعة العلوم الطبيعية، وبالمنهجية ذاتها الصرامة العلمية([[31]](#footnote-31))، بينما النظرة إليه في المعرفة التربوية القرآنية نظرة كائن حيّ مكرّم، ذي طاقة روحية وعلاقات إيجابية، وصلات قيمية بينه وبين الوجود من حوله.

وبذلك يكون اتجاه المعرفة التربوية التي تستمد معطياتها من القرآن الكريم حول الإنسان يقوم على تكريم الإنسان وتقديره وتواضعه باعتباره مخلوقاً مكرماً للخالق الذي خلقه سبحانه وسوّاه وأتقن صنعته وأنعم عليه، فخلْق "الإنسان من طين على شكل متميز يدل على عظمة الخالق وكمال قدرته، ويذكر الإنسان منذ بداية تكوينه بنعم الله التي لا تحصى عليه"([[32]](#footnote-32)). ولذلك يبقى إنسان التربية الإسلامية إنساناً، لا يتجاوز إنسانيته أمام خالقه تعالى مهما أوتي من العلم أو ترقّى في الحياة الدنيا، يصاحبه شعور الإحسان والاعتراف بالجميل، لا كما هو الحال في التربية الغربية التي شعر إنسانها "بأَنَّ إله العلم التجريبي قد حلّ محلّ الإله سبحانه وتعالى. بل تقود المعارف التربوية المستمد من القرآن إلى جعل الإنسان المخلوق نفسه موضع تأمّل وتفكّر في صنع الله، تأمل وتفكر يُقرّبه من الله تعالى، ويزيد في معرفته لجلاله وكمال صفاته، ويعرف في الإنْسان مكانته الحقيقية من الله تعالى، وضعف قوته وقلة علمه أمام خالقه، لا أنه يحلّ مكانه-حاشاه سبحانه. قال تعالى:﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَ ﴾[الذاريات:21]، وقال تعالى:﴿وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفاً﴾[النساء:28]، وقال تعالى: ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلاً ﴾[الإسراء:85]. وبذلك تشكل المصدرية القرآنية أمْناً في المعرفة التربوية كما تشكل صدقا في مضمونها.

**الخاتمة (النتائج والتوصيات):**

**أولا: أهم النتائج:**

* المعرفة التربوية القرآنية هي المعلومات والمفاهيم التربوية اليقينية أو الأكيدة والأحكام والمدْركات والتصّورات التربوية الجازمة التي نكونها أو نتوصل إليها عن شيء ما نتيجة ما نتلقاه عن طريق الوحي أو عن طريق الحسّ والعقل والحدس أو عن طريقها جميعاً.
* يقف القرآن الكريم في مقدمة المصادر الإسلامية التي يتم من خلالها بناء المعرفة التربوية بكل أنواعها ومجالاتها وامتداداتها، ومن هنا تظهر أهمية المصدرية القرآنية في بناء المعرفة التربوية.
* مصدرية القرآن في البناء المعرفي التربوي"، تتمثل في اتخاذ القرآن الكريم المَنْشَأ والمنبع الذي تستمد منه المعرفة التربوية والتعليمية، وتُقرر وتُعتمد وفقا لمنهجيته وشروطه.
* الالتزام بمصدرية القرآن الكريم في بناء المعارف التربوية والتعليمية يمنح التربية الإسلامية خاصية الاستقلال والتفرد بين سائر أنواع المناهج والفلسفات التي عرفتها البشرية.
* هناك جملة من الشروط المعيارية القرآنية لاعتبار المعرفة التربوية وقبولها إسلاميا تتمثل بالآتي: العقلية المسلمة السليمة من الأهواء، والتزام مصادر التشريع ومراتبها المقررة في علم أصول الفقه، والتزام الطرق البحثية والعمليات الاستدلالية العلمية، ومراعاة مبادئ وقيم الإسلام ومقاصده.
* هناك ثلاث خطوات منهجية لا بد من السير بها عندما يراد أخذ المعرفة التربوية من النص القرآني والوصول عمليا للبناء المعرفي التربوي الإسلامي. الخطوة الأولى: إحضار النص القرآني التربوي. والخطوة الثانية: الشرح العلمي لهذا النص القرآني من أمهات كتب التفاسير المعتد بها. والخطوة الثالثة: القيام بعملية الاستنباط بطريقة علمية لأخذ المعرفة التربوية من هذا النص القرآني الذي تقدم تفسيره.
* ملاحظة واقع النص القرآني الذي يبين مدى فاعلية المصدرية القرآنية يتحدد بثلاثة مستويات هي: مستوى وجود النص القرآني، ومستوى وجود تفاسير معتمدة، ومستوى الاستنباط التربوي المنضبط.
* تشكل المصدرية القرآنية أمْناً في المعرفة التربوية كما تشكل صدقا في مضمونها. وتمتاز المفاهيم والتطبيقات التربوية المستمدة من تلك المصدرية بالوضوح والواقعية والصدق.

**ثانيا: أهم التوصيات:**

* توصي الدراسة الباحثين في مجال التربية ومجال علم النفس إلى ضرورة تحرير كثير من المفاهيم المستخدمة في ميادين هذين المجالين من منطلق المرجعية الإسلامية المتمثلة بالقرآن الكريم.
* توصي الدراسة ببذل مزيد من الجهود من قبل علماء التفسير والتربويين لقراءة نصوص القرآن الكريم قراءة تربوية تحليلية مرتبطة بالواقع المعاصر كما هي منطلقة من ملاحظة عملية تنزل القرآن خلال ثلاثة وعشرين عاما وأبعادها الاجتماعية والتغييرية والتعليمية، وأن يتم ذلك في مناخ علمي متجرد بعيد عن التعصّبات المذهبية والحزبية الضيقة.

**المراجع:**

* أبعاد التجديد في التربية الإسلامية، عبد القادر رمزي، المجلة الأردنية للعلوم التطبيقية، العدد الثاني، آب 2002م .
* الأخلاق بين المدرستين السلفية والفلسفية، عبد الله العمرو، جامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض، 2006م.
* أصول التربية الإسلامية، سعيد إسماعيل علي، دار الفكر العربي، القاهرة ،1993م .
* أصول نظرية تربوية إسلامية معاصرة، مهنى محمد الغنايم، المعهد العالمي، عمان، 1991م.
* البعد الاجتهادي في التنظير، عبد القادر رمزي، مجلة جامعة البلقاء، عمّان، العدد1.
* التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، تونس، دار سحنون(د.ت)

التربية الدينية الإسلامية بيْن الأصالة والمعاصرة، فتحي علي يونس، عالم الكتب، ط1، 1999م.

* التعْريفات، علي بن محمد الجرجاني، عالم الكتب، بيروت، طـ1، 1987م.
* السلوك وبناء الشخصية بين النظريات الغربية وبين المنظور الإسلامي، إبراهيم السرخي، ط1، 2002م.
* السنن، الترمذي، تحقيق: أحمد شاكر، دار إحياء التراث العربي، بيروت(د ط).
* علم أصول الفقه، عبد الوهاب خلاف، طبع في لبنان (د ط).
* الفلسفة: مدخل حديث، عزمي طه السّيد، عمان، دار المناهج، عمان، ط1، 2003م.
* القاموس المحيط، محمد بن اليعقوب الفيروزآبادي، مؤسسة الرسالة، بيروت، طـ6، 1998م.
* لسان العرب ، محمد بن منظور، بيروت، دار صادر (د.ت).
* مباحث في علوم القرآن، منّاع القطان، مؤسسة الرسالة، بيروت، طـ 33،1997م .
* مصادر المعرفة في الفكر الديني والفلسفي، عبد الرحمن الزنيدي، مكتبة المؤيد، الرياض، ط1، 1992م.
* معالم التنزيل، البغوي، دار طيبة، ط4،1971م.
* المعجم المفهرس لألفاظ القرآن، محمد فؤاد عبد الباقي، دار الحديث، القاهرة،2001م.
* معجم المقاييس اللّغوية، أحمد بن فارس، دار الفكر، بيروت، طـ2، 1998م.
* المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، دار الدعوة، استانبول، 1989م
* مفردات ألفاظ القرآن، الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني، دار القلم، ط3، 2002م.

مقدمة في الفلسفة الإسلامية، عمر التومي الشيباني، الدار العربية للكتاب، ط3، 1982م.

مكانة الإنسان في الحضارة المادية المعاصرة، داود الفاعوري، دراسات (السلسلة أ: العلوم الإنسانية)، الجامعة الأردنية ، عمان، المجلد 20أ، ملحق، 1994م.

* منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة، عثمان حسن، مكتبة الرشد، الرياض، ط3، 1995م.

منهجية التعامل مع الفكر التربوي الغربي المعاصر، أحمد عبد الحليم، المسلم المعاصر، مؤسسة المسلم المعاصر، بيروت، العدد98، 2000م.

* النظرية الإسلامية في فلسفة الدراسات الاجتماعية التربوية، عبد القادر رمزي، دار الثقافة،
 الدوحة، ط1، 1984م.
* النظرية التربوية في الإسلام، محمد خياط، ط2، 2003م.
* نظرية المعرفة بين القرآن والفلسفة، راجح الكردي، دار الفرقان، عمان، 2ط2، 2003م.
1. ()  معجم المقاييس اللّغوية، أحمد بن فارس، ص 759 . [↑](#footnote-ref-1)
2. ()  القاموس المحيط، محمد بن اليعقوب الفيروزآبادي، ص 835 . [↑](#footnote-ref-2)
3. ()  لسان العرب، محمد بن منظور، جـ 9، ص236. [↑](#footnote-ref-3)
4. ()  التعْريفات، علي بن محمد الجرجاني، ص 275. [↑](#footnote-ref-4)
5. ()  الفلسفة: مدخل حديث، عزمي طه السّيد، ص160. [↑](#footnote-ref-5)
6. ()  مفردات ألفاظ القرآن، الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني، ص 560. [↑](#footnote-ref-6)
7. ()  مصادر المعرفة في الفكر الديني والفلسفي، عبد الرحمن الزنيدي، ص 39 . [↑](#footnote-ref-7)
8. ()  نظرية المعرفة بين القرآن والفلسفة، راجح الكردي،ج2،ص257. [↑](#footnote-ref-8)
9. ()  علم أصول الفقه، عبد الوهاب خلاف، ص3-6. [↑](#footnote-ref-9)
10. ()  المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، ص 509،510 [↑](#footnote-ref-10)
11. ()  الأخلاق بين المدرستين السلفية والفلسفية، عبد الله العمرو، ص 125. [↑](#footnote-ref-11)
12. () مباحث في علوم القرآن، منّاع القطان ، ص21. [↑](#footnote-ref-12)
13. () المرجع السابق، ص20. [↑](#footnote-ref-13)
14. () منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة، عثمان حسن، جـ1، ص54. [↑](#footnote-ref-14)
15. () أبعاد التجديد في التربية الإسلامية، عبد القادر رمزي، ص13 . [↑](#footnote-ref-15)
16. () البعد الاجتهادي في التنظير، عبد القادر رمزي، ص105-106 . [↑](#footnote-ref-16)
17. () النظرية الإسلامية في فلسفة الدراسات الاجتماعية التربوية، عبد القادر رمزي، ص 39 . [↑](#footnote-ref-17)
18. ( ) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن، محمد فؤاد عبد الباقي، ص803-806. [↑](#footnote-ref-18)
19. ( ) السلوك وبناء الشخصية بين النظريات الغربية وبين المنظور الإسلامي، السرخي ، ص180. [↑](#footnote-ref-19)
20. ( ) التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، جـ1، 458، 460. [↑](#footnote-ref-20)
21. ( ) المرجع السابق، جـ13، ص243. [↑](#footnote-ref-21)
22. ( ) معالم التنزيل، البغوي ، جـ3، ص169. [↑](#footnote-ref-22)
23. ( ) التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور ، جـ7، ص378. [↑](#footnote-ref-23)
24. ( ) معالم التنزيل، البغوي ، جـ3، ص267. [↑](#footnote-ref-24)
25. ()  أصول التربية الإسلامية، سعيد إسماعيل علي، ص29. [↑](#footnote-ref-25)
26. ()  النظرية التربوية في الإسلام، محمد خياط، ص67 . [↑](#footnote-ref-26)
27. ()  السنن، الترمذي، كتاب التفسير، باب ومن سورة البقرة، جـ5، ص204،ح رقم (2955،2956). [↑](#footnote-ref-27)
28. ()  مكانة الإنسان في الحضارة المادية المعاصرة، داود الفاعوري، ص194 . [↑](#footnote-ref-28)
29. ()  أصول نظرية تربوية إسلامية معاصرة، مهنى محمد، جـ2، ص358 . [↑](#footnote-ref-29)
30. ()  التربية الدينية الإسلامية بيْن الأصالة والمعاصرة، فتحي يونس، ص65 . [↑](#footnote-ref-30)
31. ()  منهجية التعامل مع الفكر التربوي الغربي المعاصر، أحمد عبد الحليم، ص83-84 . [↑](#footnote-ref-31)
32. ()  مقدمة في الفلسفة الإسلامية، عمر الشيباني، ص98 . [↑](#footnote-ref-32)